

الحلقة (٦)

❦ لازلنا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَكَبَّحُوا الشُّرَكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَآمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ آية (٢٢١).

❧ قال قتادة وسعيد بن جبیر أن لفظ الآية العموم في كل كافرة، والمراد بها الخصوص في الكتابيات، أي أن الكتابيات مخصوصات أي لم يدخلن في هذه الآية، وبينت الخصوص آية المائدة، ولم يتناول العموم قط الكتابيات، وهذا أحد قولي الشافعي، وعلى القول الأول يتناولهن العموم ثم نسخت آية المائدة بعض العموم، وهذا مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى ذكره ابن حبيب وقال (ونكاح اليهودية والنصرانية وإن كان قد أحله الله تعالى مستثقل مذموم) والأصل في ذلك الحل، ولكن الإمام مالك رحمه الله يرى أن الاقتران بالكتابيات مع علمه أنه جائز يرى أنه مستثقل مذموم بما يترتب على هذا النكاح، ونحن نعلم أن الكتابية أم أولادك إذا اقترنت بها، ولا ننسى أنها لو لم يُفتح على قلبها بالإسلام قد تترك أثراً عقدياً سيئاً على الأولاد، لكن الأصل الحل.

❧ وقال الحربي وهو صاحب غريب الحديث: (ذهب قوم فجعلوا الآية التي في البقرة هي الناسخة والتي في المائدة هي المنسوخة فحرموا نكاح كل مشركة كتابية أو غير كتابية).

قال النحاس وهو أبو جعفر النحاس المتوفى في القرن الرابع الهجري، وله كتاب إعراب القرآن ومعاني القرآن، قصة وفاته على ما ذكر قصة طريفة وهي "أنه ذات مرة وهو جالس على ضفتي النيل يقطع بيتاً عروضياً يتمم به، وقد مر به أحد المارة وقال والله أرى أن هذا الشيخ قد جن، وعندما مر بجواره وكزه فسقط في النيل فغرق رحمه الله تعالى بسبب هذا البيت الذي كان يقطعه" وله أيضاً كتاب الناسخ، ونرجع لما قال في قول الحربي (ومن الحجة لقائل هذا مما صح سنده ما حدثنا به محمد بن زبान قال إن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا سُئل عن نكاح الرجل للنصرانية أو اليهودية قال "حرم الله المشركات على المؤمنين ولا أعرف شيء من الإشراف أعظم من أن تقول المرأة ربها عيسى") وذلك من ورعه وفقهه رضي الله عنه، فإنه وضع للسائل أن يبتعد عن امرأة قد تقول يوماً أن ربها هو عيسى عليه السلام، وقد يكون كلامها موجه لأبنائها الذين هم في الأصل أبناء رجل مسلم فهنا تكمن الخطورة.

قال النحاس أبو جعفر رحمه الله تعالى يرد على ما رواه هو (وهذا قول خارج عن قول الجماعة الذين تقوم بهم الحجة، لأنه قال بتحليل نكاح نساء أهل الكتاب من الصحابة والتابعين جماعة، منهم عثمان وطلحة وجابر وحذيفة وابن عباس) فالأصل هنا كما قلنا الحل، ولكن لا بد أن يحرص الإنسان المسلم على عدم أن يتضرر أبناؤه، وإن استطاع أن يدخلها في الإسلام فهذا أفضل، إن

استطاع أن يتزوج امرأة مؤمنة مسلمة فمرحى وأیحى وبرحى، وإن لم يستطع كأن يكون في بلد كافر مثلاً فينظر للنتائج فالأمر ليس متعة فقط، ويقنعها بالإسلام.

❁ **مسألة:** نكاح الكتابية إذا كانوا حرباً هل يحل أم لا، هناك حرب بين المسلمين وغيرهم هل للمسلم أن يقترن بكتابية وهم حرب لنا؟ المشهور عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ذلك لا يحل، وتلا قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ الآية.

❁ **سبب نزول قوله تعالى:** ﴿وَلَأَمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾

قلنا أن الإسلام ينظر إلى الجواهر ولا إلى المظاهر، نزلت هذه الآية في خنساء، وليدة سوداء كانت لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه، فقال لها حذيفة: (يا خنساء قد ذكرت في الملاء الأعلى، وأنزل الله تعالى ذكرك في كتابه، فأعتقها حذيفة وتزوجها).

❁ **مسألة:** ما حكم نكاح إماء أهل الكتاب؟

اختلف العلماء في ذلك:

❖ فقال مالك رحمه الله تعالى لا يجوز نكاح الأمة الكتابية.

❖ وقال أبو حنيفة يجوز نكاح إماء أهل الكتاب.

❁ **ما حكم نكاح نساء المجوس؟**

المجوس لا دين سماوي لهم، ويختلف في أمرهم، فهم إما يعبدون النار، وإما الشمس، وإما الضوء أو شيء معنوي وهو الخير، وهكذا.

اختلف العلماء في ذلك، فمنع مالك والشافعي وأبو حنيفة وأحمد والأوزاعي، قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: (لا يعجبني) وروى أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه تزوج مجوسية وأن عمر رضي الله عنه قال له طلقها.

صحيح أن هناك في حديث أن المجوس يسن بهم سنة أهل الكتاب، لكن الاقتران بالمجوسيات فيه خطر عظيم، وكما سبق أن ابن عمر كان لا يرى أعظم من الشرك أن تقول ربها عيسى، فما بالك بمن لا تعترف بدين أصلاً!

❁ **قوله تعالى:** ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾

أجمعت الأمة بالتواتر والتتابع على أن المشرك لا يوطأ المؤمنة بوجهه، وإن حصل هذا فمرده جهل المسلمة بأمر دينها، فلو كانت عالمة بأصول الشريعة لما ارتضت أن تقترن برجل مشرك، وقد احتج بالآية جمع من أهل العلم على اشتراط الولي، هذه تفرقة على الآية، والآية هنا تحاطب الأولياء، فأخذ جمع من أهل العلم من الآية على أن الولي يجب أن يكون حاضراً في تزويج ابنته، ولقد احتج بالآية جمع من

أهل العلم على اشتراط الولي وأنه لا نكاح إلا بولي، وهو قول الجمهور خلافاً للحنفية القائلين بعدم اشتراطه.

وليس كل الحنفية قائلين بعدم الاشتراط، بعضهم هم الذين يرون عدم الاشتراط، ضعفوا حديث (لا نكاح إلا بولي) وقالوا لا يشترط الولي، ويتعين حضوره، ولو ما حضر لا يشترط، ولكن الحديث على ما ذهب إليه جمع من أهل العلم بأنه صحيح وصححه غير واحد كالألباني وغيره.

❁ قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الآية.

أولئك اسم إشارة يستعمل للبعيد، الإشارة هنا للمشركات والمشركين، أي أن صحبتهم ومعاشرتهم توجب الانحطاط في كثير من هواهم مع تربيتهم النسل، فهذا كله دعاء إلى النار، وأن السلامة ترك الاقتران بهم، والله عز وجل يمن بالهداية ويبين الآيات ويحض على الطاعات التي كلها دواعٍ للجنة، والإذن: (وَالْمَغْفِرَةَ بِإِذْنِهِ) العلم والتمكن، فإذا أضيف إلى ذلك أمر فهو أقوى من الإذن، فالإنسان يضرب حساب ما هو قادم، فإذا قُدِّر له أن يقترن بكتابية فعليه أن يدرس المسألة دراسة فيها استدلاء للمستقبل حتى لا يتعب مع المرأة التي ستري أولاده.

❁ تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَظْهَرْنَ فَإِذَا تَظَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ آية (٢٢٢)

بعد النهي الوارد في الاقتران بالمشركات، انتقل هنا من الحياة الاجتماعية العامة إلى الحياة الخاصة سواء زواجه بمسلمة أو كتابية.

ترشد الآية وتدل على أن الحياة الزوجية يجب أن تقوم على النظافة، والنظافة مطلب شرعي، والحديث: (إن الله جميل يحب الجمال)، ومما يعكر النظافة في الحياة الزوجية أمر جبلي فُطِرَتْ عليه النساء، فلا يملكه، بل هو أمر طارئ لفترة ثم يتوقف عند سن اليأس، وكما ذكر أهل الطب أن دم الحيض دم فاسد نجس خطر يحمل الميكروبات القاتلة الضارة، فأرشد الله تعالى في قرآنه الكريم باعتزال النساء في فترة محيضهن لما يترتب على ذلك من أضرار نفسية وبدنية على الزوجين وخاصة المرأة، إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وعلى المسلم أن يأخذ بإرشادات القرآن الكريم.

❁ سبب نزول الآية:

كما جاء في الصحيح عن أنس رضي الله عنه: (أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة أخرجوها من البيت فستل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت الآية).

لا ينكر أن يكون الإسلام ناسخاً للشرائع القبلية، فاليهود من العادات التي كانوا يعايشونها المرأة الحائض لا تأكل ولا تشرب معهم وهذا موجود في التوراة، فيرون أنها شيء نجس وأنها في صورة

شيطان، فجاء الإسلام بتشريعاته، الإسلام جعلها كأى أحد تأكل وتشرب إلا فى الجماع فقط، وهنا
نزل قول الله تعالى (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ).